

مجمع الأمثال

655 - تَسْمَعُ بِالْمَعْيَدِيَّ خَيْرُ مِنْ أَنْ تَرَاهُ .

ويروى " لأنَّ تَسْمَعَ بالمعدي خير " و " أنَّ تَسْمَعَ " ويروى " تسمع بالمعدي لا أن تراه " والمختار " أن تسمع " .

يضرب لمن خَيْرُهُ خَيْرُ من مَرَّاه ودخل الباء على تقدير : تُحَدِّثُ به خير .
قال المفضل : أولُ مَنْ قال ذلك المنذر ابن ماء السماء وكان من حديثه أن كُبَيْشَ ابن جابر أخا ضَمْرَةَ بن جابر من بني نَهْشَل كان عَرَضَ لَأُمَةٍ لزرارة بن عُدُس يقال لها رُشَيْدَة كانت سَبِيحَةً أصابها زُرَّارَة من الرُّفَيْدَات وهو حي من العرب فولدت له عمرا وذُوَيْبَا وبُرْغوثا فمات كُبَيْش . وترعرع الغِلْمَة فقال لقيط بن زرارة : يا رُشَيْدَة مَنْ أَبُو بَدَيْك ؟ قالت : كُبَيْش بن جابر قال : فاذهبى بهؤلاء الغِلْمَة فغَلَسِي بهم وجه ضمرة وخَبَّرِيه مَنْ هُم وكان لقيط عدوا لضمرة فانطلقت بهم إلى ضَمْرَةَ فقال : ما هؤلاء ؟ قالت : بنو أخيك فنتزع منها الغِلْمَة وقال : الدَّحْقِي بأهلك فرجعت فأخبرت أهلها بالخبر فركب زُرَّارَة وكان رجلا حليما حتى أتى بني نَهْشَل فقال : رُدُّوا على غِلْمَتِي فسبَّه بنو نهشل وأهْجَرُوا له فلها رأى ذلك انصرف فقال له قومه : ما صنعت ؟ قال : خيرا ما أَحْسَنَ مالقيني به قومي فمكث حولا ثم أتاهم فأعادوا عليه أسْوَأَ ما كانوا قالوا له فانصرف فقال له قومه : ما صنعت ؟ قال : خيرا قد أَحْسَنَ بنو عمي وأجملوا فمكث بذلك سبعَ سنين يأتهم في كل سنة فيردونه بأسوأ الرد فبينما بنو [ص 130] نهشل يسرون ضُحَى إذ لحق بهم لَحِقٌ فأخبرهم أن زرارة قد مات فقال ضمرة : يا بني نهشل إنه قد مات حليم إختكم اليوم فاتقوهم بحقهم ثم قال ضمرة لنسائه : قِفْنَ أَقْسَمُ بينكن الثكل وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان وامرأة يُقال لها خُلَيْدَة من بني عجل وسَبِيحَة من عبد القيس وسَبِيحَة من الأزد من بني طَمَثَان وكان لهنَّ أولاد غيرَ خُلَيْدَة فقالت لهند وكانت لها مُصَافِيَة : ولى الثكلَ بنتَ غيرِك ويروى وَلَّى الثكلَ بنتَ غيرِك على سبيل الدعاء فأرسلَتْهَا مثلا فأخذ ضمرة شِقَّةَ بن ضمرة وأمه هند وشهابَ بن ضمرة وأمه العبدية وعَدْوَة بن ضمرة وأمه الطمثانية فأرسل بهم إلى لَقِيْط بن زُرَّارَة وقال : هؤلاء رُهْنٌ لك بغِلْمَتِكَ حتى أرضيك منهم فلما وقع بنو ضمرة في يَدَيِّ لَقِيْط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم فقال في ذلك ضمرة بن جابر : .

صرمَتْ إِخاءَ شِقَّةَ يومَ غَوْلٍ ... وإِخْوَتَهُ فلا حِلَّاتٍ حِلَالِي .

كأنني إذ رَهَنْتُ بنيَّ قَوِّمِي ... دفعتهم إلى الصُّهْبِ السَّيِّئِ .

ولم أرْهُنْدَهُمْ بِدمٍ ولكن ... رهنْتَهُمْ بِصُلَاحٍ أو بِمالٍ .
صرمْتُ إِخاءَ شقةٍ يومَ غَوَلٍ ... وحق إِخاءَ شقَّةٍ بِالْوَصَالِ .
فأجابه لقيط : .

أبا قَطَّانَ إِنِّي أراكَ حزيناً ... وإن العَجُولَ لا تبالي حنيئاً .
أفِي أَن صَبَرْتُمْ نصفَ عامٍ لحقنا ... ونحنُ صبرنا قَبْلُ سَدِّعَ سَنيْنا .
فقال ضمرة [بن جابر] : .

لعمركَ إِنني وطَلَبَ حُبِّي ... وتركَ بنيَّ في الشَّوْطِ الأعادي .
لَمِنْ نَوَّكَى الشيوخَ وَكَانَ مثلي ... إذا ما ضَلَّ لم يُنْذَعْشُ بهادٍ .
ثم إن بني نَهْشَلٍ طلبوا إلى المنذر بن ماء السماء أن يطلبهم من لَقِيط فقال لهم
المنذر : نَحُّوا عني وجوهكم ثم أمر بخمرٍ وطعامٍ ودعا لقيطاً فأكلا وشربا حتى إذا أخذت
الخمير منهما قال المنذر للقيط : يا خير الفتيان ما تقول في رجل اختارَكَ اللَّيْلَةَ على
نَدَامَى مُضَرٍّ ؟ قال : وما أقول فيه ؟ قال : إنه لا يسألني شيئاً إلا أعطيته إياه غير
الغَلَمَةِ قال المنذر : أما إذا استثنيت فلستُ قابلاً منك شيئاً حتى تعطيني كلَّ شيء
سألتك قال : فذلك لك قال : فإني أسألك الغلَمة أن تَهَبَهم لي قال : سَلَّني غيرَهم قال :
ما أسألك غيرهم فأرسل لقيط إليهم فدفعَهم [ص 131] إلى المنذر فلما أصبح لقيط لاهمه
قومُهُ فندم فقال في المنذر : .

إنك لو غَطَّيْتَ أَرْجاءَ هوةٍ ... مُغَمَّسَةً لا يُسْتَدَثَّارُ تُرَابُهَا .
بِثَّوْبِكَ في الظلماء ثم دَعَوْتُني ... لجئْتُ إليها سَادِراً لا أَهَابُهَا .
فأصْبَحْتُ مَوْجُوداً على مَلَوٍّ ما ... كَأَنَّهُ مُضَيِّتٌ عن حائضٍ لي ثِيَابُهَا .
قال : فأرسل المنذر إلى الغَلَمَةِ وقد مات ضَمْرَةٌ وكان صديقاً للمنذر فلما دخل عليه
الغَلَمَةُ وكان يسمع بِرِشْقَةِ ويَعْجبه ما يبلغه عنه فلما رآه قال : تَسْمَعُ
بالمعديِّ خَيْرٌ من أن تراه فأرسلها مثلاً قال شقة : أَبَيْتَ اللعن وأسعدك إلهُك إن
القوم ليُسُّوا بِجُزْرِ يعني الشاء وإنما يعيش الرجلُ بأصْغَرِ يَهٍ لسانِهِ وقلبه
فأعجب المنذر كلامه وسره كل ما رأى منه قال : فسماه ضَمْرَةٌ باسم أبيه فهو ضَمْرَةٌ بن ضمرة
وذهب قوله " يعيش الرجل بأصغريه " مثلاً وينشد على هذا : .

ظننت به خَيْراً فقصَّ رَدونه ... فيأربُّ مَظنونٍ به الخيرُ يُخْلِفُ .
قلت : وقريبٌ من هذا ما يُحْكِي أن الحجاج أرسل إلى عبد الملك بن مروان بكتاب مع رجل
فجعل عبد الملك يقرأ الكتاب ثم يسأل الرجل فيشْفِيهِ بجواب ما يسأله فيرفع عبد الملك
رأسه إليه فيراه أَسْوَدَ فلما أعجبه طَرَفُه وبيانه قال متمثلاً : .
فإن عَرَّاراً إن يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ ... فإني أُحِبُّ الجَوْنَ ذَا المَنَكِبِ

الْعَمَمُ .

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين هل تدري مَنْ عَرَّار ؟ أنا وإِعرار بن عمرو بن شَّاس الأسدي الشاعر